

الجزء ٧ من السنة ٤ عن كانون الثاني سنة ١٩٢٧



البطائح الحالية

Les Batâih.

تعريف الناس بصاحب هذه المقالة وما يليها

الشيخ علي الشرقي من الرجال الناشئين في النجف وهو في العقد الرابع من عمره . وليس في دماغه شيء من الافكار القديمة البالية او المتهرئة : انما هو خزانة حية حافلة بالعلم الحديث العصري . وهذا مايتجلى في شعره الذي هو مرآة نفسه الحساسة . وفي ماتدبجه براعته من المقالات الحسان .

وهو ابرع رجل في العراق في معرفة دياره الحالية .

ولقد عرفه القراء منذ نشأة هذه المجلة ولو كان يذيل مقالاته باسم منتحل ونقل المستشرقون (من فرنسيين وايطاليين والمانيين وانكليز) عدة مقالات له ادرجت في هذه المجلة فترجموها الى لغاتهم ونشروها في مجلاتهم . كما استشهدوا بها في كتبهم .

وقد عزم الشيخ على ان يتحف هذه المجلة بمقالات عديدة ، موضوعها الكلام عن مدن العراق الحالية . وعن دثورها . والانباء التي يأتينا بها هي نتيجة رحلاته في انحائه . لان ليس في ديارنا من تجول فيها تجول الشيخ « عش مخانه

يعرف عامرها وغامرها ، حديثها وقديمها ، ولهذا نشكره سلفا على ما يتحفنا به ونحن متأكدون ان كثيرين ينتفعون بهذه المقالات ونخص بالذكر المستشرقين على اختلاف قومياتهم ؛ لانهم يقدرون اعمال الرجال حق قدرها ، ويعلمون ان الذين يتتبعون هذه المباحث هم قليلون ، وجميعهم ممن جادت عليهم الطبيعة باحسن مواهبها .

قال الكاتب المتفنن حرسه الله :

البطائح

البطائح جمع بطيحة ؛ بفتح الباء وكسر الطاء ، يقال تبطح الوادي : اذا استوسع وانبسط . فالبطيحة مسيل واسع ومجتمع مياه سائبة . والبطائح كثيرة ولكن المعروف منها والمنوه بها بطائح ما بين واسط والبصرة والحويزة (وهذه من بلاد خوزستان) وبطائح العراق هي مجتمع سيب الفرات ودجلة ، من غير ان يكون من اختلاطهما عمق غائر : يوم كانت دجلة تستقيم من (المذار) وكانت بطائحها في سواد بغداد و (بطن جوخى) ولكن بعد ان تحولت وسالت بين يدي واسط كثر الاختلاط بينهما وتوسع فكان فيضا مادا الى ماوراء واسط الى ظهر البصرة القديمة .

ولم يذكر مخططو العرب البطائح ذكرا تاما ؛ اما اليوم فقد مات ذكر البطائح ، واطلق على البقية منها اسم (الاهوار) وهي جمع هور وزان ثور و (البرق) وزان زحل وواحدتها برقة وهي من لغة سواد العراق ويريدون بها البطيحة .

ولم تستقم البطائح على حال واحدة وانما كانت كما يشاء لها الاتفاق والحوادث فربما كانت كالبحر العجاج مما اندفع اليها من مياه الطاغيين وربما هبط ارتفاع مياهها وغطتها ضفات عيدان الاسل والقصب فشخصت للعيون غابة كثيفة وقد يبلغ بها الجفاف والنشف الى ان تصير ارضا جادا او تحسر عن بقاع خضراء الاديم كانها الارياف تتخللها الغدران .

فيمكننا ان نضبط لها حالات ثلاثا لم يظهر انها تجاوزتها الى حالة اخرى بل ما زالت تتردد بين الثلاث . وهي : (البطائح) (الجزائر) (الجوازر) . ولنبدأ بذكر البطائح لانها الحال الاول ، فنذكر موقعها ثم السبب المكون لها فاستفحالها فماضيها فحاضرها .

موقع البطائح

كلما تحول مجرى دجلة تحول موقع البطائح كل التحول. اجل جرت دجلة بين يدي (المذار) وهو بلد دارس لم يبق منه اليوم غير مشهد عبدالله بن علي وموقعه شرقي دجلة ووراء البلد المعروف بقلعة صالح . فكونت بطائح ثم تحول عمودها الى (واسط) فاحدثت بطائح ثم امتد نابها بين واسط والمذار وهو عمودها اليوم فجددت بطائح . والاثر المهم في تكوين البطائح دجلة البصرة وهي دجلة العوراء لان غيرها من اجراف دجلة قلما ينفتق مجراه ويتبطح وذلك لاجل التغير المحسوس في مهابط دجلة . فمن بغداد الى شقة بعيدة المنحدر ترى متونا عالية وضفافا مرتفعة وارضا صلبة وهذه هي دجلة بغداد التي لا شأن لها في امر البطائح ومسحها كما ذكروا ٣٠ فرسخا ودجلة البصرة هي ام البطائح ولا زالت تمور وتتبطح ماؤها ومسحها كما ذكروا ٣٠ فرسخا مبدأها عند منتهى دجلة بغداد . ومنتهاها عند القرنة مبدأ شط العرب وهي اخادير ومنخفضات وارض رخوة..

وهذه دجلة العوراء طالما ردمت وحصنت بالمسنيات واقيمت عليها السدود فاعيا امرها واعورت .

وشط العرب الذي ذكرناه معروف عند العراقيين ويتكون اولا من دجلة العوراء ثم من فيض البطائح ، وقد كان خورا في اول امره ويظهر انه تكون في اوائل القرن الخامس للهجرة او قبله فقد جاء ذكره في رحلة ناصر الدين العلوي من كبار ادباء الفرس وهو من رحالي القرن الخامس للهجرة .

وكانت دجلة تستقيم من عند المذار في عهد الساسانيين وهي اليوم منقطعة من ثم . فكان موقع البطائح في (بطن جوخى) التي كانت نهرا وكورة في سواد بغداد ، فلما تحول الماء بطلت تلك البطائح وانقطع السيب عنها فصارت صحاري ومفاوز بسبب الملوحة فيها سموم وقيظ شديد في ايام الصيف .

وتحولت دجلة العوراء الى ناحية واسط ومرت بين يديها وصبت في انهار جمة وعمود مجراها كواحد من تلك الانهار واتصلت وقتئذ بارض ميسان

وكانت تلك الشعبة تسمى نهر ميسان وهي كورة واسعة يقع بلدها الشهير ببلد ميسان بين واسط والبصرة ولم يبق اليوم من تلك البلدة إلا (مشهد العزير) وهو معمور على حالته القديمة تخدمه اليهود وتحج اليه.فميسان اذا اليوم تسمى (بلد العزير) وموقعه بين القرنة وقلعة صالح . ولما استقامت دجلة من هناك انبثق من اسفل كسكر بثق عظيم واغفل فتغلب الماء على ما كان منخفضا من الارضين وبقي ما كان مرتفعا منها فصار جآجيء واكنة للملتجئين اليها وتكونت هناك بطائح امتدت من اطلال واسط الى ظهر البصرة وهذه هي البطائح الشهيرة في التاريخ وكانت مساحتها كما جاء في الاعلاق النفيسة لابن رسته (ص٩٤) ٣٠ فرسخا في ٣٠ . في رقعة واسعة تقع بين ميسان وواسط والبصرة والحويزة .

اما تحديدها فحد منها ميسان وهي بلد العزير اليوم وحد منها دجلة بغداد ما بين جبل وفم الصلح وهي اليوم حوالي كوت الامارة ؛ وحدمنها مصب الفرات بين منازل بني اسد ومنازل بني منصور ؛ وحد منها صحراء جزيرة العرب الشمالية وتسمى اليوم الشامية . ثم وقفت دجلة عن مجراها بين يدي واسط وتفرقت الى انهار عظام .

اما عمودها فقد شق له واديا بين واسط والمذار ؛ وهو مجراه اليوم بين منازل ربيعة الامارة ؛ ومنازل طيىء بني لام.فجففت بعض بطائح واسط واصبحت بيداء وجزيرة موحشة تسمى (جزيرة الرفاعي) كما ان بطائح الحلة جفت فاصبحت جزيرة تعرف بـ (ام سترين) (١) . اجل جفت بطائح واسط ولكن لم تجف كل البطائح بل انحسر الماء عن كثير منها فظهرت كورة واسط وسقي الغراف على شكل شبه جزيرة بين وادي الفرات الاسفل ودجلة العوراء واصبح موقع البطائح اليوم ممتدا من بلد العزير الى اعلى سوق الشيوخ والخميسية عرضا ومن هناك الى القرنة وشط العرب طولا . وهذا التحديد يشمل رقعة واسعة من ذنائب الغراف وهي الامكنة الواقعة بين (البدعة) (٢) ونهر (السديناوية)(٣)

(١) كانها مثناة ستر (٢) وزان قلعة (٣) بالتصغير

ممتدة الى (الحمار) (١) مثل بطيحة الصديفة (٢) والغمرقة (٣) وام القطور (٤) والحصونة (٥) وكثير غيرها .

ولدجلة العوراء بطائح خاصة لم تختلط بسبب الفرات ؛ وهي مابين حوض العمارة وحوض الحويزة اما البطائح الناشفة شرقي الغراف وغربيه فقد اصبحت حرثا وعمارة وربما استفحل امر البطائح وغادر تلك الارضين السبب الذي صيرها في القديم بطائح . فسعة تلك البقاع وضيقها تابع لتغلب الرافدين وعدمه واثبت البلاذري في كتابه فتوح البلدان ان البطائح حدثت بعد مهاجرة النبي (ص) في عهد الملك ابرويز الفارسي الساساني وانها اتسعت عند مادخل العرب ارض العراق واشتغل الاعاجم بالحروب ؛ والذي يظهر للباحث ان البطائح حدثت قبل ذلك بكثير وان الذي حدث في عهد ابرويز مظهر من مظاهرها التي توجد في كل فترة من الزمن او هو حدوث ناحية من البطائح . (٦)

تكون البطائح واستفحالها

لا نشك ان الذي اعان على تكون البطائح عدة امور اهمها قلة العمران الزراعي في العراق واغفال امر الرافدين من التفقد والتعهد بموجب اصول الفن وذلك باختطاط الانهار اللازمة لتفريق المياه وتقليل سورتها وايجاد خزان للطاغي منها واقامة السدود وردم كل خرق يخشى خطره فان لم يكن كل هذا وقد مر عليك ان بعض مهابط دجلة والفرات واطئة وارضها رخوة فلا بد من ان تفلت المياه وتتبطح . والذي يدعم قولنا هـذا ان من تصفح شان البطائح وجدها تتسع ويتفاقم خطرها زمن الارتباك وانصراف الناس الى الحروب وتمر وتجف زمن الركود والدعة . ولقد حاول مقاومتها واصلاحها جماعة من رجال الاعمال الشهيرة .

---

(١) كجبار (٢) بالتصغير والتأنيث (٣) كانها مجموعة رمؤنثة (٤) كانها جمع الناطر الذي هو الشق (٥) بالجمع والتأنيث .

(٦) البطائح قديمة العهد في العراق حتى انه لايعرف المحققون بدء وجودها فيه . وقد وجد العلماء ذكرها في الرقم المسمارية حتى لم يبق ريب في قدمها وكان يسمونها « الاجم » (لسبب) والافرات (بتشديد الفاء)

ل . ع

فقد جاء في تاريخ الكلدان ان بعض ملوكهم تعاطى اصلاح البطائح وذكر صاحب النهج القويم في ترجمة نبوخذنصر انه هو الذي احتفر النهر المعروف بنهر الملك وهو الذي حفر حوضا واسعا وترعة للماء الزائد من الفرات اي «خزانا». واقام سدودا كثيرة وجد في احوال الساسانيين وذكر ماضيهم ان الملك قباذ وابنه انو شروان والملك ابرويز كل منهم نهض في اقامة القناطر والسدود وردع الماء بالمسنيات حتى ان الملك ابرويز صلب في يوم واحد اربعين جسارا لتسامحهم في شأن السدود .

وفي العهد العربي الاسلامي تعاطى كثير من الرجال هذا الاصلاح حتى اعرست البطائح في ايامهم وصارت كورة وقرى كثيرة وانفق احد الامويين وقد اقطعت له البطائح ليستغلها بعد العمارة ثلاثة ملايين درهم على سد واحد.

وفي الناشفة اليوم اثار بثوق وخروق وسدود كثيرة منها (التاهي) الواقعة في شرقي الشطرة على بعد خمس ساعات في منازل خفاجة الفراف وهو ردم على هيئة تل مستطيل اقيم على البطائح ليكون سدا في وجه الماء الطاغي من الفرات ولا نعرف الذي اقامه والعرب اليوم تسميه (تاهي) ويظهر انه اسمه القديم فقد ذكر الفيروزابادي في قاموسه ان (التاهي) سد في وجه الماء (١) وهناك محل آخر تسميه العرب (الخروق) في شمالي واسط وامامه سد في وجه الماء المنساب من دجلة وفي ظهر الناصرية وكربلا والمتفق تل في الشمال الغربي ممتد في عرض البادية مسافة خمسة كيلومترات وهو عال مرتفع وموقعه في منازل (الازيرق) سد في وجه الفرات .

والى اليوم اذا طغى الفرات يأتي سيبه فيقف عنده ، وجاء في الاعلاق النفيسة لابن رستة ان خالد بن عبدالله عامل الامويين حاول ان يسكر دجلة وانفق الاموال فلم ينجح سعيه وسعت دجلة على البنيان والمعمور . ونقل البستاني في دائرة معارفه ج ٦ ص ٦٤٣ انه كان على دجلة العوراء سكران .

وقد يستفحل امر هذه البطائح بان تفيض دجلة والفرات معا فيضيق عنهما

(١) الموجود في نسخ القاموس المطبوعة والمخطوطة : التنهاة بالكسر : مايرد بوجه السيل من تراب ونحوه. ل . ع

عقيقاهما فينبثق الفرات من عدة امكنة اشهرهـا واخطرها من موطن حول (المسيب) وهو مدينة وفرضة على الفرات . وعلى هذا الموضع سدة محمة تعرف بـ (أم الصخور) ثانيا من مكان في اعلى المسيب وعليه سدة كبيرة تعرف بـ(السرية) لانها انشئت في عهد سري باشا ثالثا من مكان يقع بين بلدتي السماوة والناصرية. وتنخرق دجلة من محلات عديدة منها في ظهر بغداد قريبا من (عقرقوف) ومن النهر المعروف بـ(الحرية) قريبا من المدائن؛ ومن النهر المعروف بـ(الحسينية) غربي (كوت الامارة) وتوجد في العراق امكنة كثيرة تسمى (خرور) من كل هذه ينساب الماء زمن الطغيان فيستفحل امر البطائح .

وقد استفحلت في عهد كسرى قباذ بن فيروز فانبثق بثق عظيم وقد كان هذا الملك واهنا قليل التفقد لشؤون الملك فاغفلها حتى رجع الملك الى ابنه انوشروان فعمل القناطر والسدود وانكشف الماء عن بعض الارضين وفي عهد الملك ابرويز زاد الفرات ودجلة معا فاقبلت المياه وحاول الملك ان يسكر ففشل ومال الماء على العمارة وغشي المساكن والقرى ثم رجع امر المملكة الى بعض النسوة من الفرس فخارت العزائم وبقيت الامور هملا فاتفق دخول العرب ارض العراق فانشغلت الاعاجم بالنزاع على الملك وكبرت آفة البطائح .

وفي عهد الحجاج علت الزيادة واتسعت الخروق وقدر اصلاحها فكان ثلاثة ملايين درهم فاستكثرها الوليد على بيت مال المسلمين إذ وجده اصلاحا عاليا ولكنه بقي يحاوله فاقطع مسلمة بن عبدالملك تلك الارضين وقام بالامر على نفقته . وفي عهد الدولة المباركة كثر الطغيان واشتد في زمن وزارة آل بويه او امارتهم واهمل امر البطائح فاتسع الخرق. وهكذا مازالت الفتوق تعاود حتى اليوم فاذا طفح الفراتان واشتد الطغيان خار الماء حتى يركب المعمور ويسف (اي يجري جريا سريعا) والعرب اليوم تسمي ذلك (موحان) لانه اصبح انخفوطاًة من قبل لان المياه اشتد جريها الى الامام حيث يتكون شط العرب ولان الفلاح العراقي عاد ملما بفنون الحراثة والزراعة فهو ينتفع به اكثر من ان يتضرر منه .

وقد اثرت في البطائح السدة الجديدة التي انشئت على الهندية والجداول التي حولها ؛ كما اثر فيها شط (الحفار) الذي كراه البريطانيون زمن حركاتهم الحربية

وذلك ليكون معينا لبواخرهم النهرية . وفي هذه السنة ١٣٤٥ (١٩٢٦ م) بذلت الحكومة العربية على شط الحفار دراهم كثيرة وسدته اتماماً لحالة الفلاح التي تضرر منه كثيرا ومن الاتفاق المحمود حدوث موحان في سنة ١٣٣٣ ه (١٩١٥م) عام وجودي في العراق والبطائح .

موحان

اسم مشهور عند اعراب العراق وما حوله ويحتمل انه اخذ من قولهم (ميح الماء) والعرب هناك تطلق هذا الاسم على الماء السائب الذي يهجم عليهم وعلى قراهم ومزارعهم ويسمون عامة « سنة موحان » (١) واخر زياداته على تلك البقاع كان سنة ١٣٣٣ عام العزاهز العامة فقد طغى ماء دجلة وامتلأ عقيقها حتى ضاق وفاض فجرف السدود وهجم على المسنيات والعمارة ففرقت دار السلام بغداد وانفتقت دجلة من الجانب الغربي وركبت كل منخفض وتدافعت تلولا من الامواج في وسط البادية ومد الماء على عرض ٢٠ كيلومترا فاخذ الجزيرة الفارغة التي بين فرات الحلة والغراف وهي امكنة بطائح في القديم ولها ماض زاهر زمن الحضارة العباسية وفيها اثار كثيرة وربما اتفق لسبب دجلة ان يختلط في هذه الاماكن بسبب الفرات فيميلان معا الى سقي العراق .

ويظهر انه في القديم كان موحان يجعل ارض العراق كله بطيحة واحدة ولا يترك إلا التلال ولاجل ذلك تجد ابن الاثير وغيره من المؤرخين لا يذكرون العراق باسم نهر او سقي بل يذكرون بطيحة العراق اما الان وقد ارتفعت تلك البقاع بواسطة الحرث او الزرع الذي يعلي وجه الارض بتطاول الايام صار الكثير من مغالث العراق ومزارعه في منعة وسلامة على ان الاضرار التي تحصل منه اليوم ليست بالقليل العيز ويندفع موحان هذا الى ان ينصب في الفرات الاسفل قريبا من بلاد الناصرية ولا يندفع جريه توا اليها بل تعترضه في كل مخابطه حياض واسعة وبطائح جافة يصب في كل منها عدة ايام حتى تمتلئ

(١) الذي عندنا ان للوح كما يقول ابناء الزوراء وللوحان كما ينطق به اهل تلك الارجاء هي رواية في اللوح ومعناها السيل المفاجئ او التزيز في الارمية وسكان دار السلام يسمون الموحان الدفرة وهي تصحيف الدفقة . ل. ع

ويهبط الماء الى غيرها وفي هذا الدور الموحش بين فرات الحلة والغراف عـدة بطائح نائشفة يعرفها الاعراب باسمائها فاذا تذاكروا في مهابط موحان عدوها واحدة واحدة باسم هورة كذا وهورة كذا فمن محابطه :

(مسماة) [وقد تبدل الميم الاولى بالياء فيقال يسماة] وهي تل جالس في محل واسع كبير فيه جذور مزارع قديمة واثار انهار .

ومنها (ام الدور) بطيحة جافة فيهـا اثار الالواح (اي الدبار) وخطط سواق ورواضع .

ومنها (ابو الذروق) هور كبير جاف .

ومنها (طرخومة) وهي سهل متسع .

ومنها (الظاهر) في الشمال الغربي من الشطرة على بعد ١٣ ساعة وهي بادية مقفرة كبيرة في الطول والعرض وفيها تلان متلاصقان تسميهما الاعراب (القصور العباسية) وعلى مقربة منها تل عال مستطيل ومن ورائه رواق عليه قبة بيضاء تسميه الاعراب (الظاهر) وبين تلالي والرواق اثار نهر يابس تسميه الاعراب بـ (شط العتق) وقد سألت عنه بعض العارفين من الشيوخ فقال انه احد (النيليات) وهي جداول كانت تتشعب من شط النيل الشهير الذي طمره وكراه الحجاج ، وهناك كثير من كسر الطابَاق ورضوض الاجر والقاشاني المعرق واطلال بالية وسحيق خزف فيظهر جليا ان التلال اخربة بلاد كانت هناك .

ومنها (جوخى) وهي الان بطيحة جافة وفيها تلال وآكام بلاد (أما) الشمرية الشهيرة في التاريخ القديم .

ومنها (ابو جويري) وهو اقطاعية في منازل بني ركاب يزرع فيها الوف من الشتاء والاكره ومنها يبدأ موحان باكتساح مزارع الغراف ومساكنه فيجرف ما امامه حتى ينتهي الى البطائح المصاقبة للفرات الاسفل الاخذة منه مثل (هور الذكة) و (هور ابي قداحة) فيصب مجموع تلك الاسيلب في فرات الناصرية .

هذه هي مهابط موحان او بعضها ولقـد شاهدته ينحط على منازل الاعراب واكواخ الفلاحين بجري واندفاع هائل وكان على ارتفـاع مترين تقريبا ولما

موج عجاج وما كان باستطاعتهم انقاذ الاثاث والامتعة بل فروا في وجه الطاغي واووا الى التلعات وجعلوا يتصيدون او يلتقطون محمات يوتهم الطافية على وجه الماء .

وهناك امكنة مرتفعة ضيقة يمكن ان تقام السدود عليها في وجه هذا العاجم ولا يراد بها صده بيد الصد لان ذلك ليس لهم بالمستطاع . ولكن تحويل مجراه الى الاودية الفارغة من الزرع او تعويق جريه حتى ينضج الزرع ويتم نموه ، الا ان اولئك الاعراب لايحسنون اتقان السدود والسكور فتجيء ناقصة ويخفق كدهم فيها وقد وقفت على ردم اشتغل فيه مات من الفلاحين الكدو وقد بذلوا فيه طاقتهم فجاء في ١٣ كيلومترا وارتفاع ٣ امتار وعرض مترين وكان قويا محكما جاء الماء حتى وقف عنده لايقدر على ازاحته ؛ ولكن عصفت ذات ليلةزعزع شديدة صادف مهبها مع مجرى الماء فاجتمع على الردم قوة الماء وقوة الهواء ولم تمكن المقاومة فانفتق ١٥٠ فتقا في وقت واحد وهجم الماء فالتهم القرى والمنازل واغرق الزرع البالغ . وللغرافيين زمن استفحال البطائح حال مزعزعة واضطراب مبتهم فتسمع اصوات حرسهم طول الليل وهم تحت سخط البرد القارس عكفا ساهرين على افواه الجداول وضفاف المياه وترى بلادهم وقراهم مطوقة بالمياه المتفلتة وهم يقيمون السدود على افواه الشوارع والازقة .

هذه كلمتي في تكون البطائح واستفحالها . ولقد اعان على تكوين البطائح النزاعات الحربية واضطراب حبل الامن هناك في كل فسحة من الزمن واذا وقفت حق الوقوف على السبب المكون للبطائح خلال الايام والسنين تعرف ان حالتها غير واحدة وان ماضيها غير بين ولا يخلو من ابهام وظلمة .

النجف علي الشرقي

(طبع كتاب الجمهرة لابن دريد)

اخذت بطبع كتاب الجمهرة لابن دريد في حيدراباد الدكن وقد وصلني نموذج منه في ٥٢ صفحة من القطع الكبير ، ولما كانت الحروف المشكلة قليلة القدر في تلك المطبعة فابراز ذلك المعجم بحلته الموشاة يطول كثيرا .

من بكنهام (انكلترة) ف كرنكو

مع تحيات د. سلام حسين الهلالي

salamalhelali@yahoo.com

https://www.facebook.com/salam.alhelali

https://www.researchgate.net/profile/Salam_Alhelali?ev=hdr_xprf

07807137614

